سورة النمل

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (59)﴾

شرح الكلمات:

{ءَآللَّهُ} استفهام؛ أي أألله

{خَيْرٌ} عبادة، وخير لمن يعبده

{أَمَّا يُشْرِكُونَ} به من الأصنام

المعنى الإجمالي :

لما أخبر الله تعالى رسوله بإهلاك المجرمين ونجاة المؤمنين أمر تعالى رسوله أن يحمده على ذلك تعليماً له ولأمته إذا تجددت لهم نعمة أن يحمدوا الله تعالى عليها ليكون ذلك من شكرها قال تعالى {قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ} أي الوصف بالجميل لله استحقاقا.

أي: قل الحمد لله الذي يستحق كمال الحمد والمدح والثناء لكمال أوصافه وجميل معروفه وهباته وعدله وحكمته في عقوبته المكذبين وتعذيب الظالمين، وسلم أيضا على عباده الذين تخيرهم واصطفاهم على العالمين من الأنبياء والمرسلين وصفوة الله من العالمين، وذلك لرفع ذكرهم وتنويها بقدرهم وسلامتهم من الشر والأدناس، وسلامة ما قالوه في ربهم من النقائص والعيوب.

{آللَّهُ خَيْرٌ أمَا يُشْرِكُونَ} وهذا استفهام قد تقرر وعرف، أي: الله الرب العظيم كامل الأوصاف عظيم الألطاف خير أم الأصنام

والأوثان والقبور التي عبدوها معه، وهي ناقصة من كل وجه، لا تنفع ولا تضر ولا تملك لأنفسها ولا لعابديها مثقال ذرة من الخير فالله خير مما يشركون. وقوله تعالى: {آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ} أي آلله الخالق الرازق المدبر القوي المنتقم من أعدائه المكرم لأوليائه؛ عبادته خير لمن يعبده بها أم عبادة من يشركون.

و(آلله) الاستفهام تقريري وهو إلجاء المخاطب إلى الإقرار، وخير هنا: ليست بمعنى أفضل، إذ لا خير البتة في آلهة المشركين وإنما من باب إيهام الخصم بأنه يعترف له بما يعتقده من خير في إلهه، حتى يصغي ويسمع ويتأمل لعَلّه يهتدي.

وهذا استفهام إنكاري على المشركين في عبادتهم مع الله آلهة أخرى.

والمقصود به: التنبيه على إغراقهم في الضلال والجهل.

ثم أورد الله تعالى عددا من الأدلة الكونية على وحدانيته وقدرته على كل شيء، وهذه الأدلة:

1- أعبادة الأوثان والأصنام والقبور التي لا تضرّ ولا تنفع خير، أم عبادة الذي خلق السماوات في ارتفاعها وعظمتها وجمالها، وأنزل من السماء أو السحاب مطرا، فأنبت به الحدائق الغنّاء، ذات الجمال الباهر، ليس لديكم القدرة على إنبات شجرها وإخراج ثمرها، فهو الله المتفرّد بالخلق والرّزق، فهل يصح بعدئذ وجود إله مع الله يعبد؟ إنهم قوم ينحرفون عن الحق والصواب إلى الباطل والخطأ، حين يجعلون مع الله إلها آخر نظيرا له وشريكا. والحدائق: مجتمع الأشجار من العنب والنخيل وغير ذلك. والبهجة: الجمال والنّضرة.

2- أعبادة الأوثان والأصنام والقبور العديمة النفع والضرر خير، أم عبادة الإله الذي جعل الأرض مستقرّا للإنسان وغيره، لا تتحرك بأهلها، وجعل فيها جبالا ثوابت شامخة، لتثبيت الأرض حتى لا تتحرك، وجعل بين المياه العذبة والملحة حاجزا، أي مانعا يمنعها من الاختلاط، لئلا يفسد هذا بذاك، وتبقى التفرقة بينهما قائمة. هل يوجد مع الله إله آخر أبدع الكائنات؟ بل في الواقع أكثر هؤلاء المشركين لا يدركون الحق والصواب فيتبعونه.

3- إن الله الذي يجيب دعوة المضطر إذا دعاه، ويدفع عنه الضرر ويرفع عنه السوء من فقر أو مرض أو خوف ونحو ذلك إذا لجأ إليه، ويجعل الناس خلفاء الأرض وورثتها، يخلف بعضهم بعضا في جلب المنافع، وسكنى الديار، وزراعة الأرض، والتصرف بالمملوكات، هل مع الله إله آخر، يقدر مثله على ذلك؟ ولكن ما أقل تذكّر الناس نعم الله عليهم، وإرشادهم إلى الحق والطريق القويم.

4- إن الله تعالى هو الهادي إلى الحق والخير، يدلّ الناس على مواضع غاياتهم، في ظلمات البر والبحر، ويتناقلون ذلك بالتعليم، ويرسل الرياح القوية تبشّر بنزول الأمطار، وتمهّد للتعرف على رحمة الله، هل مع الله إله آخر، يفعل مثل فعله، تنزه الله عما يشركون من عبادة أشياء أخرى مع الله الواحد الأحد المستحق وحده للعبادة؟

التوحيد أساس الدين ، وبقية أركان الدين وفرائضه متفرعة عنه ولما له من هذه المكانة العظيمة كانت ثمراته وفضائله جليلة منها

1- أن المحققين للتوحيد المبتعدين عن الشرك بأنواعه لهم الأمن في الدنيا والآخرة، ولهم الهداية في الدنيا والآخرة.

2-أن من قال لا إله إلا الله بإخلاص حصلت له شفاعة النبي صلى الله عليه.

3-أن الموحد لا يخلد في النار في النار.

4- أن من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حَرُم ماله ودمه.

5- أن القلب يستنير بالتوحيد.

6-أن الله يحبب إلى الموحد فعل الخيرات ويكره إليه المنكرات.

7-تفريج الكربات.

8-متى حققنا التوحيد تحقّق لنا النصر والتمكين والاستخلاف في الأرض بإذن الله.

9-متى حققنا التوحيد تحقّقت لنا السعادة في الدنيا والآخرة.

الشرك أعظم الذنوب وذلك لأمور:

1- لأنه تشبيه للمخلوق بالخالق في خصائص الإلهية .

2-أن الله أخبر أنه لا يغفره لمن لم يتب منه.

3-أن الله أخبر أنه حرم الجنة على المشرك وأنه خالد مخلد في نار جهنم.

4-أن الشرك يحبط جميع الأعمال.

5- أن المشرك حلال الدم والمال.

6-أن الشرك أكبر الكبائر.

7- أن المشرك بالله مفترٍ فيما اتخذه مع الله من الند والآلهة.

آثار الشرك وأضراره:

1- ضعف تعظيم الربّ تعالى ومحبته في قلب صاحبه.

2- سقوط صاحبه من أوج العزة والكرامة إلى حضيض السفول والقلق والرذيلة.

3- جاسة صاحبه .

4- أنه يوجب لصاحبه عذاب الله تعالى في الدنيا والآخرة.

5- أن المتلبّس به يسيء الظن بربّ العالمين وينتقصه تعالى.

6- أن التلبس به يوقع الفرد والمجتمع في ظلمات متراكمة.

الفوائد :

1- وجوب حمد الله وشكره عند تجدد الشكر، والحمد لله رأس الشكر.

2- مشروعية السلام عند ذكر الأنبياء عليهم السلام فمن ذكر أحدهم قال عليه السلام.

3- التنديد بالشرك والمشركين.

4- تقرير التوحيد بأدلتة الباهرة العديدة.

5- الحمد لله، إنما هو بسبب جعله هو والذين آمنوا به في زمرة الذين اصطفاهم الله، وينطوي في هذا تطمين وتبشير للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين.

6- يأمر الله رسوله محمدا صلّى الله عليه وسلّم أن يعلن حمده لله تعالى وشكره على نعمه المختلفة، وعلى صفاته العليا وأسمائه الحسنى، وأن يسلّم على عباد الله الذين اصطفاهم واختارهم لتبليغ رسالته.

7-تقرير التوحيد لله تعالى؛ فالاستفهام في قوله تعالى أَغَيْرَ اللهِ إنكاري، أي كيف أتخذ ولياً غير الله فأطيعه وأعبده والله هو خالق السموات والأرض الذي يرزق الخلق ولا يحتاج إليهم فهو الغني عن كل ما سواه.

8- أجمع أهل الإمامة من هذه الملة المباركة الحنيفية السمحة أن من مات على الشرك الأكبر لا يُغفر له؛ وأنه خالدٌ مخلدٌ في النار أبد الآباد.

9- أن أهل السنة أبعد الناس عن التكفير فهم حريصون على عصمة دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم؛ فلا يكفرون إلا من كفره الله ورسوله.

10- إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خلق الخلق لأمر عظيم، وهيأهم لخطب جسيم، خلقهم عَزَّ وَجَلَّ لا ليستكثر بهم من قلة، ولا ليستقوي بهم من ضعف؛ وإنما ليعبدوه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وليُوَحِّدُوه، وليفردوه بِكُلِّ أنواع العبادة التي يُحِبُّها الله ويرضاها قولاً وفعلاً واعتقادًا،

11- أعظم فضيلة للحمد أن الله تبارك وتعالى يحب الحمد.

12- الحمد لله من أحب الكلام إلى الله تعالى.

13- أن العبد المؤمن إذا اجتهد بالتقرب إلى الله بالفرائض ، ثم بالنوافل قرّبه ربه إليه ، ورقّاه من درجة الإيمان إلى درجة الإحسان ، فيصير يعبد الله كأنه يراه ، فيمتلئ قلبه بمعرفة ربه ،ومحبته ، وتعظيمه ، وخوفه ومهابته ، وإجلاله ، فإذا امتلأ القلب بذلك زال منه كل تعلق بكل ما سوى الله ، ولم يبق للعبد تعلق بشيء من هواه . ولا إرادة إلا ما يريده منه ربه ومولاه ، فحينئذ لا ينطق العبد إلا بذكره , ولا يتحرك إلا بأمره .

والله اعلم .... وصلى الله على محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ

سلسلة تفسير القران العظيم الإصدار رقم (204)

فوائد من تفسير سورة النمل الآية 59

تهدى ولا تباع

ولا تنسونا من صالح دعائكم

أعدها (عزمي إبراهيم عزيز)